

الجولان ... سماؤنا، وأرضنا.

د. جورج يونان

الجولان كلمة عربية.

في قاموس "محيط المحيط" للمعلم بطرس البستاني، الجولان تعني التراب والجولان تعني جبل بالشام، وتعني أيضاً التراب والحصى تجول به الريح، وبالفعل فإن هضبة الجولان معرضة للرياح الآتية من البحر، بسبب الانخفاض النسبي لتلال السامرة والجليل. وقد ورد في عدة مواضع في الإنجيل ما يؤيد قوة هبوب الرياح، فحين كان المسيح في السفينة مع تلاميذه فوق سطح بحيرة طبريا، يقول متى: وركب السفينة فتبعه تلاميذه إليها. وإذا البحر قد اضطرب اضطراباً شديداً حتى غمرت الأمواج السفينة... >> وأما السفينة فقد بلغت عرض البحر وغطت الأمواج عليها. لأن الريح كانت مخالفة لها... هاتان الحادثتان وهذان الوصفان نجد تكراراً لهم في بقية الأناجيل.

تقع هضاب الجولان في المنطقة الجنوبية الغربية من سورية، ما بين جبل الشيخ (حرمون) وبين نهر اليرموك. وهي جزء من محافظة القنيطرة. مساحتها لا تتجاوز الواحد في المئة من إجمالي الأراضي السورية. إلا أن أهميتها تتجاوز مساحتها، فهي المائدة التي تلتقي حولها سورية ولبنان وفلسطين والأردن في آن واحد، ومن قمة حرمون، التي ترتفع ٩٠٠٠ قدم عن سطح البحر، تمتد عين الناظر شرقاً إلى سهول حوران وفوق جبل العرب امتداداً إلى البادية الشامية، وشمالاً إلى الغوطة الدمشقية وسهل بلودان واللجاة، وغرباً إلى الحولة والبقاع والباروك والجنوب اللبناني حتى مشارف صور وجنوباً نحو والجليل والسامرة وجبال عجلون.

الجولان أرض خصيبة تعتبر تربتها غنية بالمواد الغذائية للنبات، فهي تربة مركبة من مواد بركانية ومواد من الطمي الأحمر تراكمت فوق طبقة سفلى من الصخور الكلسية. هذه التربة هي امتداد للمنطقة البركانية الممتدة من جنوب دمشق إلى حوران فاللجاة، وتروي أرض الجولان أمطار

غزيرة تمتد الينابيع والأنهر بمخزون من المياه يقارب ١٥٪ من المخزون المائي لسورية. ففي الشمال يوجد نهر بانياس الذي يقدر حجم تدفق المياه فيه ١٢٠ مليون متر مكعب في السنة. وفي الجنوب يوجد نهر اليرموك الذي يرقد نهر الأردن جنوب بحيرة طبريا. وتنتشر الينابيع في أرض الجولان. فهناك نبع الحمة الكبريتي الذي يجذب الزوار لفوائده العلاجية في امراض الروماتيزم، والينابيع الأخرى هي نبع اللويداني، ونبع السعار، ونبع القصيبة، ونبع البرجيات، ونبع الثريا، ونبع المشرفة. وهناك أيضاً بحيرة مسعدة، التي تروي مياهها بعض القرى المحيطة بها. وبسبب ارتفاع الهضبة تتكون رطوبة كافية لحماية بعض النباتات ونموها. كما أن أشجار التفاح والكرمة تنمو في حقولها بكثرة.

تاريخ الجولان:

إن تاريخ الاستيطان البشري في الجولان قديم ١٠٠.٠٠٠-٥٠.٠٠٠ سنة قبل المسيح، وهو جزء من تاريخ الاستيطان البشري في المنطقة كلها، والذي يعود إلى العصر البليستوسيني ١٠٠.٠٠٠-١٠.٠٠٠ قبل الميلاد، الذي فيه أحس الإنسان بانفصاله الفعلي عن الحيوان، وغرقت ثقافته بثقافة العصر الحجري. وقد تعاقبت على هذا العصر عصور أخرى هي: (١) العصر السايوليثي Palaeolithic الذي امتد من الألف التاسع إلى الألف الثامن قبل الميلاد. وتميز بالاستقرار في أماكن ثابتة، وبتربية المواشي، واكتشاف الزراعة. (٢) العصر النيوليثي Neolithic الذي امتد ما بين منتصف الألف الثامن ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد، والذي تميز بظهور المدن. (٣) عصر الثورة المدنيّة Urban Revolution الذي ابتدأ في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، والذي اتم بظهور التنظيمات التشريعية والسياسية والمدنيّة، وكان رواده شعوب ما بين النهرين بتجاريتهم الروحية بإنتاجهم الفكري والمثولوجي. من خلال ملاحم الخليقة والطفوفان ومن خلال تشاريع

حمورابي. وقد انتهى هذا العصر بظهور الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد تعاقبت على الجولان حضارات عدة، ولكنه ظل مربوطاً بالوطن الأم، وظل الجسر الجغرافي الذي جمع بأطرافه دول بلاد الشام: سورية لبنان فلسطين الأردن. وأقدم ما يعرف عن الجولان هو ما اكتشف حديثاً من أن الملكة الحورية التي نشأت، في الألف الرابع قبل الميلاد، في وادي الخابور شمال-شرق سورية، امتدت سيادتها جنوباً إلى الجولان ولبنان وفلسطين. وبعدها دخلت البلاد كلها تحت سلطة الفراعنة إلى أن جاء الأموريون وانتزعوها منهم في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وفي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد بسط الآراميون نفوذهم على بلاد الرافدين وسورية الشمالية والوسطى التي شملت الجولان >>وقد تأسست مملكة دمشق في أواخر القرن الحادي عشر، فكانت معاصرة تقريباً لتأسيس الملكة العبرانية. وتطورت فأصبحت مملكة كبرى تمتد إلى سلفرات من جهة وإلى اليرموك من جهة أخرى... >> (فيليب حثي: تاريخ سورية، الجزء الأول). وكان الآراميون ألد أعداء العبرانيين، وقد خاضوا حروباً باسلة ضدهم، دفاعاً عن الجولان، إلى أن تغلب الآراميون ما بين الأعوام ٨٧٩-٨٤٢ قبل الميلاد. بعد دفاع مستميت على أسوار دمشق، سقطت الملكة الآرامية في أيدي الآشوريين عام ٧٢٢ قبل الميلاد، أصبح الجولان تحت سيادتهم، وقد دُفرو ٥٩١ مدينة وحولوها إلى أنقاض إلا أن الآراميين تركوا لغتهم لورثاتهم النبطيين والتدمريين، بعد الآراميين والآشوريين جاء الكلدان وحكموا سورية وفلسطين حتى عام ٥٢٨ ق.م. حين سقطت بابل في أيدي الفرس، وبسقوطها انتهت العهد السامية، وابتدأت العهد الهنود-أوربية التي بقيت حتى عادت السامية لتتأثر لنفسها ولحضارتها بطلائع الفتح العربي التي ظهرت في الجولان بالذات، في معركة اليرموك.

في القرن الرابع الميلادي اكتسحت جيوش الإسكندر العراق والشام، ودخل الجولان مع بقية



كان الجولان خط الدفاع الأول
عن سورية في فترة المملكة
السلوقية، وكان خط الدفاع
الأول عن دمشق لرد
الهجمات الصليبية. وفي
الجولان جرت معركة
اليرموك، وكانت "الجابية" في
الجولان مركزاً للجيش
العربية في فتوحات الشام.

الغربية للجزيرة العربية. ومن هنا جاء اسمهم. وقد
دامت دولتهم حوالي ٦٠٠ سنة. وفي تلك البطاح.
بطاح الجولان، وفي موقع بالقرب من بلدة بانياس
وقف السيد المسيح مخاطباً بطرس، أنت الصخرة
وعليك أبني كنيسة. وفي قيصرية فيلبس جنوب
الحرمون، وفي بيت صيدا على الضفة الشرقية من
مطريا كانت جولان المسيح الأولى في الدعوة إلى
الدين الجديد. وفي الجولان حدث أول تفاعل روحي
بين الديانتين: المسيحية والمجديية. ومن أشهر ملوك
بني غسان الحارث بن جبلة الذي اشتهر بشجاعته
حتى أن الروم كانوا يهابونه. وفي عهده امتدت
مملكة الغساسنة فشملت بصرى حوران، وتدمر،
وشرق الأردن، وفلسطين.

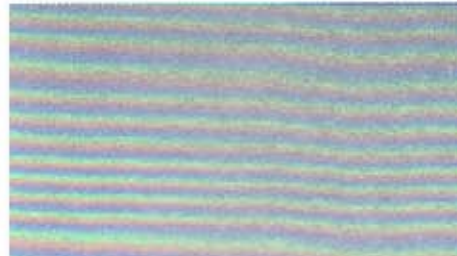
ورثت الغساسنة موجة عربية أخرى خرجت من
الجزيرة العربية بقيادة أما عبيدة بن الجراح. وقد
خرجت هذه الموجة في ثلاث حملات عسكرية
والتقت في الجابية. لتصبح هذه مركزاً للقيادة
الإسلامية خلال فتوحات الشام. وقد دخلها
الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧ م. ومعهم معنم
صحابا الرسول. وفي الجابية، في الجولان، عُقد
المؤتمر المشهور والمعروف بـ "يوم الجابية"

البلاد تحت الإحتلال الهيليني. وحسين ظهرت
المملكة السورية بزعامة الأسرة السلوقية كان
الجولان خط الدفاع الأول عنها ضد مملكات
البطالسة في مصر. وفي بانياس في شمال الجولان.
وفي عام ٢٠٠ قبل الميلاد تم النصر للمملكة
السورية التي امتدت بعد ذلك جنوباً إلى فلسطين.
كان الجولان جزءاً من دولة الأنباط التي
حكمت ما بين ١٦٩ ق.م. إلى ١٠٦ م. ودخل تحت
السيطرة الرومانية حين احتل الرومان بلاد
الشام عام ٦٤ قبل الميلاد. إلى أن تحرر بتأسيس
دولة تدمر وظل في كنفها إلى أن انتهت المملكة
العربية التدمرية عام ٢٧٢ م.

حين جاء آل غسان إلى الشام خيموا في البادية
ثم انتقلوا إلى حوران والجولان، ومن القرى التي
سكنوها: البلقاء، وإدرج، والجابية. وحين أسس
حفنة بن عمرو مزقياً دولة الغساسنة عام ٢٢٠
ميلادية كانت الجابية في البدء مخيماً متنقلاً لآل
حفنة. وحين استقر الأمراء الغسانيين. وأنشأوا
دولتهم جعلوا الجابية عاصمتهم السياسية. ويقال
بأن الغساسنة جاءوا من سهول تهامة، حيث كانوا
يقيمون على ماء يسمى غسان، على الشواطئ

بعيث أن التنقل والإتصال بين القرى أصبح متعذراً، ورغم هذا وبدون تنسيق مسبق بين القرى فإن أهالي الجولان في إحدى اشتباكاتهم مع العدو استطاعوا أن يأسروا بعض جنوده، ولم يطلقوهم إلا بعد أن وعد العدو وجهانهم بالتوقف عن محاولته فرض الهوية الإسرائيلية عليهم.

وكان من نتيجة الرفض للإحتلال أن المواطنين في شباط ١٩٨٦ طردوا شمعون بيريس رئيس الوزراء الإسرائيلي من مجدل شمس، وكذلك فعلوا بأسحق نافون وزير المعارف الإسرائيلي، حين طرده من بقعاتا في آذار من نفس السنة.



**في بانياس، في الجولان وقف
للمسيح مخاطباً بطرس:
"أنت الصخرة وعليك أبنى
كنيسة". وفي "مؤتمر الجابية"
سن عمر بن الخطاب مع
صحابه الرسول شرائع تنظيم
الغنائم للنقولة وغير المنقولة.**

وفي التاسع من أيار عام ١٩٨٩ حين طلبت سلطات الإحتلال تحية العلم الإسرائيلي بمناسبة إنشاء دولة إسرائيل، رفض طلاب ثانوية مسعدة الثول، وأزّلوا العلم وأحرقوه.

خلال التسعة والعشرين سنة من الإحتلال، لم يشعر أهل الجولان بأن جبل المشيمة انقطع بهم عن أهمهم وكان الأهل في فلسطين، والأقارب في الجنوب اللبناني معهم، وكانوا هم مع أطفال الحجارة واطفال قانا، وكيف لا وهم ذلك الجسر الذي جمع دول بلاد الشام الأربع.

عريباً طوال فترة الهجمة الصليبية.

كانت القنيطرة المدينة الرئيسية في الجولان، وهي على بعد ٧٠ كيلومتراً جنوبي - غربي دمشق موقعها يرتفع ١٠٠٠ متر عن سطح البحر، وقد كان عدد سكانها حين احتلها العدو خلال حرب حزيران ١٩٦٧ ما يزيد على ٣٧٠٠٠ نسمة، وحين تراجعت جيوشه عام ١٩٧٤ حول المدينة إلى خرائب مهدماً بيوتها ونهاياً كنائسها ومساجدها ومعالمها الأثرية، بلغ عدد سكان الجولان المحتل ما يقارب ١٢٨,٠٠٠ نسمة هجرت إسرائيل ما يقارب ٩٥٪ منهم وما بقي كان لا يتجاوز السبعة آلاف توزعوا في ستة قرى هي: مجدل شمس، بقعاتا، مسعدة، عين قنية، سحيتا، الفجر، وقد بدأت مقاومة أهل الجولان من اليوم الأول للإحتلال. وأخذت هذه المقاومة أشكالاً مختلفة: بدأت بأعمال فردية بطولية، ثم تطورت إلى مواقف جماعية رافضة، وقد ساعد أهل الجولان على تقدم الجيش السوري في الجولان خلال حرب تشرين عام ١٩٧٣ وذلك بتقديمهم معلومات استطلاعية أمنية، ودعم معنوي واقتصادي، وخلال الأعوام ١٩٧٧-١٩٧٩ قاوم الأهليون محاولات العدو لتغيير هويتهم العربية السورية، واجتمعوا في ١٦ كانون الأول، في مجدل شمس وأصدروا قراراً جماعياً برفض الهوية الإسرائيلية، ثم تلاه اجتماع جماهيري في ٢٥ آذار عام ١٩٨١، وفي مجدل شمس صدر عنه وثيقة وطنية تتمسك بعروية الجولان وأهله، وانتمائهم إلى الوطن الأم، وتعد بمقاومة محاولات الضم والتهويد وقد اعتقلت السلطات الإسرائيلية بعض أحرار الجولان وقادتهم في ٣ آب ١٩٨١ إلى القدس لتحاكيمهم ولتوديعهم سجونها، وقد توافد أهل الجولان إلى القدس في ذلك اليوم، ليشدوا من عزيمة المقاومين من أهلهم، وساروا، على أثر صدور الحكم، في شوارع القدس وهم يهتفون وينشدون نشيد بلادهم "حماة الديار"، وبعد قرار الضم الذي صدر في الرابع عشر من كانون الأول عام ١٩٨١ أعلن الإضراب العام في الجولان لمدة ثلاثة أيام، ولا تزال ذكرى هذا اليوم الأسود تستعاد بالحداد، وتوالت اجتماعات مجدل شمس، إلى أن كان الحشد الكبير في الرابع عشر من شباط عام ١٩٨٢ الذي أعلن الإضراب العام مرة أخرى، وقد استمر هذا الإضراب ١٥٧ يوماً، وقد فشلت السلطات المحتلة في محاولاتها إلى كسره، فعمدت إلى التهديد والحصار العسكري، إذ هددت بالسجن ٥ سنوات لكل من يرفع علماً سورياً، وأحرقت مزارع المواطنين الذين دعموا المؤثرين بالمؤونة والغذاء، واعتبرت المنطقة كلها منطقة عسكرية

الذي يعتقد أن عمر سن فيه بعض القوانين التي نظمت توزيع الغنائم المنقولة والغنائم غير المنقولة، وهي العقارات المكتسبة خلال الفتوحات، وعمر بمحاولته هذه <<عطل بعض الأحكام لنا رأى تغيير الأحوال في عهده عما كان عليه في عهد النبي>> (عبد الغفار نصر: مجلة سומר الدمشقية، العدد التاسع). <<وقد وجب على الفقهاء الذين اضطربوا في الأمر فعقلونه بعديا، أن يقبلوا بوجود خطين وشئتين، شئ الرسول وشئ عمر>> (هشام جعيط: الكوفة)، وكان الرسول قد سمح بهذا الإجتهد حين قال في مسألة تأبير النخل: <<أنتم أعلم بشؤون دنياكم>>

من هذا الموقع، من الجابية، انطلق عمر، ليحقق الأمن في جميع أنحاء البلاد الشامية، وفي مؤتمر الجابية تم <<تقسيم سورية إلى أربعة أجناد، تبعاً للأقاليم البيزنطية الأربعة التي كانت زمن الفتح، هي: جند دمشق، وجند حمص، وجند الأردن، وجند فلسطين>> (فيليب حشي، تاريخ سورية ٢ ص ٢١-٢٢). وقد حافظت الجابية على أهميتها العسكرية حتى في عهد الأمويين، فحين نشبت الحروب في سورية بين قبائل عرب الشمال القيسية وبين بني كلب ذو الأصل اليمني، بايع القيسيون عبدالله بن الزبير بالخلافة لعدائهم لبني أمية، إلا أن بني كليب نادوا بمروان الأول خليفة على المسلمين، فتلقى البيعة في الجابية في ٢٢ حزيران سنة ٦٨٤، ومن هناك انطلق ليثبت حكمه، فسار بأنصاره الكلبيين إلى دمشق، وحين خرج القيسيون لملاقاته هزمهم في مرج راهط.

ظلت الشام اقليماً عربياً عريباً طوال الخلافة الراشدية، والأموية، إلى نهاية خلافة المأمون في فترة الخلافة العباسية، وبعد موت المأمون، ظهر النفوذ التركي في دوائر الدولة، وتجزأت الدولة العربية إلى دويلات صغيرة، وقد تعاقب على حكم الشام: الطولونيون ٨٦٨-٩٠٥ م، والقرامطة، والاختشيديون ٩٣٥-٩٦٩ م، والسلاجقة ١٠٦٣-١١٧٧ م، والأتابكة ١١٢٨-١١٥٤ م، والفاطميين، والأيوبيين، والصليبيين ١٠٩٧-١٢٨٥ م، والمماليك، ثم جاء الغزو المغولي الذي أحرق بغداد، وتبعه العهد التركي بانحطاطه وبمأساه، إلى أن كانت الثورة العربية الكبرى، التي أبلت بدمشق عاصمة لها، ولكن الآمال تبددت مع وليمة سايكس - بيكو، وقد لعب الجولان دوراً كبيراً في صد هجمات الصليبيين، وكانت قلعة نعروود التي تشرف على بلدة بانياس، خط الدفاع الأول عن دمشق ضد الهجمات الصليبية، وظل الجولان